

في علبة الحرب

وسام عويضة

أنا غارقٌ في هذه الحرب حتى أذني، والحرب امرٌ لا يعرفه سوى من يعيش الحرب.
”أيتها النجمة هناك، أرجوك لا تكوني طائرة“

أنا أهذي، عقلي خارج السيطرة، تتحول الحرب إلى علبةٍ مغلقةٍ تضيق يوماً بعد يوم، جسدي متيبسٌ، ولغتي جافةٌ وممزقة.

الأمر أكبر من الخوف، رغم أي خائفٍ طبعاً، لكن خوفي يغرق في دوامة القلق على كل شيء، حتى على سلامة عقلي.

أشعر بالحزن الشديد، أبكي حد التقيؤ أحياناً، لكني أفعل هذا سرّاً، فالحزن مخجلٌ جداً الآن، والبكاء أمرٌ ساذجٌ أمام كل هذه البشاعة.

لا حبال لأتسلقها، أنا في قاع علبة الحرب، خلاط الدم الذي يقتل كل ما تبقى من إنسانيةٍ وعقلٍ، الحرب خارج إطار المعقول،

الموت احتمالٌ قريبٌ ورحيمٌ أيضاً، كل الاحتمالات الأخرى احتمالاتٌ أكثر سوءاً وسواداً،

من هو الصديق الذي يمكن أن يكون ميتاً الآن؟، أيهم تحت الأنقاض يتنفس وتمر حياته القاسية أمامه في ظلام ما بعد الغارة؟، كيف تبدو المدينة الآن؟، هل ستنتهي الحرب وأنا قطعةٌ واحدة؟، أين سأقضي الليلة القادمة؟، هل هناك ليلةٌ قادمة؟، كيف سيمر الوقت حتى الصباح التالي؟، هل هناك صباح؟؟

الخيار الأسهل في الحرب هو الموت، والانتظار هو الأسوء.

هل أنا حيّ الآن؟

هل أنا ميت؟

محفوظٌ أنت،

تقف وحيداً على حافة الحطام الهائل للمدينة والناس،

وحيدٌ وحي،

تنظر إلى وجهك الشاحب في المرأة، وتضحك من فكرة "الغد" التي تمد لك لساناً طويلاً وأزرق، غريب،

وفارغٌ إلا من صداع رأسك، وأحتمالات القذيفة القادمة

محفوظٌ أنت

تلفظ أنفاسك قهراً، وتعد الموتى

تعد ثقوب الحرب، وأفكار الحرب، وقصص الحرب

تسجل صوت الطائرة، وصوت الصاروخ، وصوت المدفع

تغلق عينيك عن الوجع الممتد، عن الأشلاء،

لكن صراخ الأطفال قويٌّ جداً

ورائحة الدم تعذب روحك في العتمة

والليل طويلٌ

وأزيز الطائرة يلوث روحك

"محفوظٌ أنت لأنك حي"

لم أعد أعرف كيف أجيب على الأسئلة التي لا تبدو غبية سوى من هنا، أقصد من غزة، أقصد من داخل إعصار الموت الذي يجرف كل شيء؟

يسألني صديقي البعيد، كيف حالك؟

معقداً هذا السؤال يا صديقي، أنا نفسي لا أعرف كيف أسأل عن "حالي"، هذا الحال الممزق جداً حد اللاتعريف، هل لحالي "كيف"، وكيف يمكن أن أعرف كيف حالي، أو كيف يمكن أن أطرح هذا السؤال، ومتى؟

أنا حتماً أريد أن أفتح حواراً إنسانياً من نوع ما مع "أحدهم" خارج هذه الحرب، لعلي أشعر ولو للحظةٍ أي ما زلت جزءاً من هذا الكوكب، أو واحداً من الأحياء، لكنني لا أستطيع؟

فحتماً سيسألني ذلك الانسان على الطرف الآخر من الحياة "كيف حالك" وسيبدو غيباً جداً أن لا أعرف الإجابة.